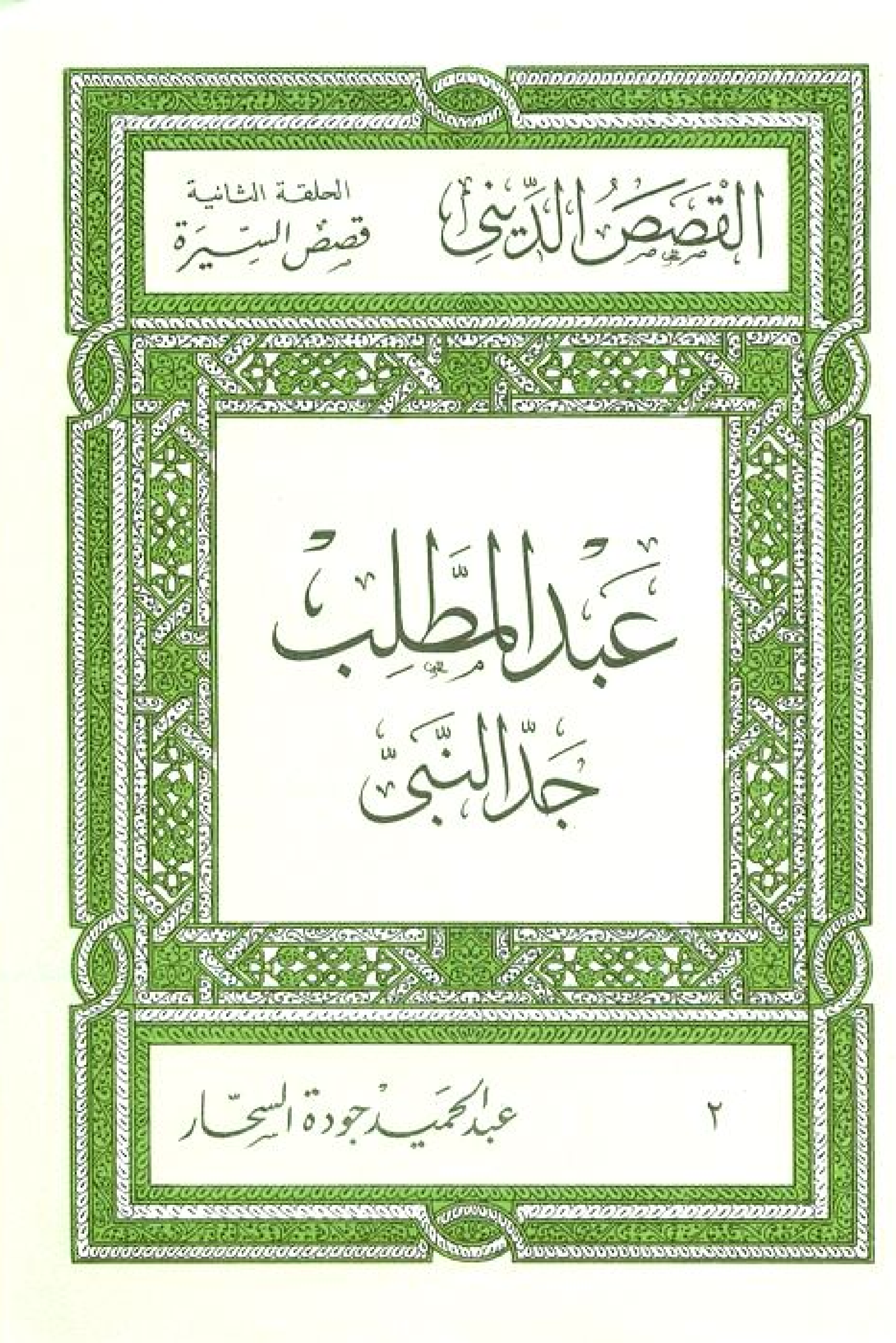

القصص الديني
الحلقة الثانية
قصص السيرة
عبد المطلب
جد النبي
عبد الحميد جودة السحار
٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيل * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيل * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيل * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُول ﴾ .

« قرآن كريم »

١

نشأَ شيبةُ بينَ أخوالِه فى المدينة ، وكان جميلا مَهيبا، يعرفُ أنه ابنُ هاشم بن عبدِ مناف ، وأنّه من ذلك البيتِ الكريم الذى يسُودُ قريْشا ، ويتولّى شرفَ البيتِ المقدس فى مكّة ، ويَسقِى الحُجّاج ، ويُطْعمُ الفقراءَ والمساكين منهم . كان يعرفُ قدرَ نفسِه ، فكانَ على الرغم من موتِ أبيه ، مرفوعَ الرأس ، ناصعَ الجبين .

خرجَ يلعبُ مع الفتيان فى أحد الأيام ، وكان أحبُّ اللّعِب إليه الرّمايةَ ، فدعَا أبناءَ أخوالِه إلى مُباراةٍ فى رمى السّهام ، فاصطفَّ الفتيانُ أمامَ هدفٍ صغير فى مثل الكفّ ؛ ومرّ رجل ، فوقف يرقُبُ المباراةَ من بعيد .

أخذَ الفتيانُ يرمونَ سهامَهم ، فأخطئوا الهدَف ؛ وتقدَّم شَيْبة ، فوضعَ سهمَه فى قَوْسِهِ ، وأطلقَه فأصابَ الهدَف ؛ ثمَّ وضعَ سهمًا آخرَ وصوَّبه ، فأصابَ مرةً ثانية ، فهزّه الفرح ، وصاح مفاخرًا :

– أنا ابنُ هاشم ، أنا ابنُ سيِّد البطحاء ، (الأرض المستوية التى بداخل مكة) .

وارتسمتْ على شفَتى الرجُل الذى يرْقُبُ المباراةَ من بعيد ابْتِسامة ، ثم انصرف .

٢

ولِىَ المُطّلبُ السِّقايةَ والرِّفادَة ، بعدَ موتِ أخيه هاشم ، وكانَ المُطّلبُ شريفا ، وسيِّدا مُطاعا فى قومِه ، وكان يُمضى النّهار فى الكَعْبَة ، فقد بدأَ موسمُ الحج ، وكان عليه أن يَسْهَر على الحُجاج .

وبينمَا المطلبُ فى مجْلسِه ، إذ أقبلَ عليه ذلكَ الرجل ، الذى شهدَ مباراةَ الرِّمايةِ بين شَيْبةَ وأبناء أخواله ، وكان قادمًا من يَثْرب (المدينة) إلى مكةَ للحج ، قال :

ـ لو رأيْتَ ابنَ أخيكَ شيبةَ فينا ، لرأيتَ جمالاً وهيبةً وشرفا ، لقد نَظرتُ إليهِ وهو يُبَارى فِتْيَانًا فى رمى السِّهام ، ويقولُ كلَّما أصابَ الهدَف : أنا ابنُ سيِّدِ البطحاء .

فرفعَ المطلبُ رأسهَ وقال :

ـ لا أُمسى حتى أخرجَ إليه فأقْدَمَ به .

فقال الرجل :

ـ ما أرَى سَلْمى (أمَّه) تتركُه لك ولا أخوَالَه .

فقال المطلبُ فى عزم :

ـ ما كنتُ لأدَعَه هناك ، ويتركَ مآثرَ قومِه ، ومكانتَه ونسبَه وشرفَه .

وما جاءَ اللّيلُ حتـى كـانَ المطّـلبُ يركـبُ جملَـه ، ويذهـبُ فى الطريـقِ إلى يـثرب (المدينـة) ، ليعـودَ بشَيْبَة ابنِ أخيه هاشم ، ليشِبُّ بين أهلِه ، وفى بيـتِ هاشمٍ العظِيم .

٣

وصلَ المطّلبُ إلى يثرب ، وجعل يسألُ عن شيْبَة ، حتى اهتدى إليـه ، فوجـدَه يلعـبُ بـين فِتْيـان فعرفَـه وضمَّه إليه ، وجعـلَ يقبّلُـه ويقـولُ لـه : إنّـه عمُّـه . وذكر له المطّلـبُ أنـه جاءَ ليعيـدَه إلى قومـه ، فقـال شَيْبَة :

ــ لابدّ أن تأذنَ لى أمىّ .

وذهبا إلى سَلْمى ، فقال لها المطّلب :

ـ جئت أقبضُ ابنَ أخي ، وأُلحقُه ببلَدِه وقوْمِه .

فقالت سلْمَى وهي تضمُ شيْبَةَ إليها :

ـ لا . لستُ بمُرْسِلَتِه معك ، إنَّه ابني .

فقال المطلب في إصْرَار :

ـ لن أذهبَ حتى آخُذَه معي ، إنَّه ابنُ أخي ، ونحنُ أهلُ بيتٍ شريفٍ في قومِنا ، والُمقامُ ببلَدِهِ خيرٌ له من الُمقام هَهُنا ، وهو ابنُك حيثُ كان .

فقالت سلمي وهي تنظُر إلى ابنِها :

ـ دعْنِي ثلاثَةَ أيّامٍ أفكّر .

ومرَّت الأيامُ وسلمَى تفكّر . إنَّ فراقَ ابنِها يحزُنها ، ولكنَّ مصْلحَتَه في أن يكونَ بين قومِه . وأخيرًا غلّبتْ مصلحةَ ابنِها على حُبِّها ؛ فلما عادَ المطّلبُ بعد انقضاء الأيام الثلاثة ، أذِنتْ له في أن يأخذَه ، فركِبَ المطّلبُ جملَه ، وأركبَ شيبَةَ خلْفَه ، وخرج إلى مكّة ، وسلمى تنظر إلى ابنِها وقد ملأَت الدموعُ عينيها .

٤

كان الوقتُ ظهرا عندما دخلَ المطَّلِبُ مكة ، وهو راكبٌ جملَه ، وخلفَه شَيْبَة ، فلما رآهُما النّاسُ حَسَبُوا أنَّ المطَّلبَ اشترى له عبدا ، فراحُوا يُشيرُون إلى شيْبَةَ ويقولون :

ـ عبدُ المطَّلب ... عبدُ المطَّلب .

فصاح المطَّلبُ بهم :

ـ ويْحَكُم ! إنَّما هُو ابنُ أخى هاشم ، قِدمْتُ به من المدينة .

ودخل المطَّلبُ بيتَه ، وألبسَ شيْبَةَ حُلَّةً جديدة ، وخرجَ به إلى الناس ، وقال :

ـ هذا شيبةُ ابنُ أخى هاشم ، عُدْتُ به من المدينة .

فنظر الناسُ إلى شيْبة ، فوجَدوه يُشبِهُ أباه ، فقالوا :

ـ ابنُه . ابنُه ولا شك .

ولكنّهم لم يَدْعُوه بشيْبَة ، بل أطلقُوا عليه « عبدَ المطلب » .

٥

خرجَ المطلبُ تاجرا إلى أرض اليَمن ، فماتَ هناك ، فَوِلِيَ الرِّفادَةَ والسِّقايَةَ بعدَه عبدُ المطّلب ، كان يَسْقِي الحجّاجَ بمكةَ في حِياض من الجِلد ، وكان يَتْعَبُ فى جلبِ الماء إلى هذِه الحياض . وفى ذاتِ يومٍ نامَ فى الحرَم ، فرأى من يقولُ له : احفِرْ زَمْزَم . فلما استيقظَ لم يفهمْ ذَلكَ الْحُلْم ، لأنّه لم

يكن يعرِفُ ما زَمْزَم ؟ لأن زمزمَ كانت قَدْ طُمَّتْ بالرِّمالِ واختفَت .

وفى اليوم التّالى نامَ فى الحَرم ، فجاءَه الهاتف ، وقالَ له :

ـ احفِر زمزم .

فقال عبدُ المطلب :

ـ وما زَمْزَم ؟

ـ تَسْقى الحجيجَ الأعظم .

وهداهُ الهاتفُ إلى مكانها . فلما استيقظ ، دعَا ابنَه الحارث ، ولم يكنْ لهُ ولدٌ غيرُه ، وقال لهُ : إنّه أُمِرَ بحفر زمزم ، وذهَبا يحفِران الأرض ، ورأى أنّه وابنَه قِلّة ، فنذَر لئنْ أكملَ اللّهُ له عشرةَ ذكور حتى يَراهُم ، أن يذبَح أحدَهم ، وفى اليوم الثالث، اهتدى عبدُ المطَّلبِ إلى الماء ، فجاءَه الناسُ وقالُو له :

ـ أشرِكْنَا فيه .

فقال لـهـُم عبدُ المطّلب .

ـ ما أنَا بفاعِل ، هذا أمرٌ خُصِصْتُ بـه دونَكـمْ ، فاجعلُوا بيننَا وبينَكُم من شِئْتُم أُحاكِمْكم إليه .

واختارُوا حَكمًـا . وخـرج مـع عبـدِ المطلـبِ عشرونَ رجلاً من بنى عبد مناف ، وخرجتْ قريـشٌ بعشرينَ رجلاً من قبائلها ، وفيما هـمْ فـى الطريـق ، نفِـدَ الماء ، فعطِشُـوا ، فجاءُوا إلى عبـدِ المطّلـب ، وقالوا :

ـ ماذا ترى ؟

فقال عبدُ المطّلب :

ـ هُـو المـوت . فليحفِر كـلُّ رجـل منكـم حفْـرةً لنفسه ، فكلّما ماتَ رجلٌ دفَنته أصحابُه .

وراحُـوا يحفِرُونَ قبورهَـم ، ثـم قَعدُوا ينتظـرُون المـوت ، ورأى عبـدُ المطّلـب أنَّ مـن العجْـز أن يستسلمُوا ، فقام وركب جمله ، وأخذ يبحث عن

ماءٍ في الصحْراء ، وفيما هو في سيرِه ، إذ انفجرت تحتَ خُفِّ جملِه عينُ ماء عذب فشربِ عبدُ المطَّلب ، ونادى أصحابَه ، فشرِبُوا حتى ارتووا .

ونظر الرجالُ إليه في إكبار ، وقالوا :

ـ قد قُضِيَ لك علينا . الذى سقَاك هذا الماءَ بهذِه الصحْراء ، هو الَّذى سقاكَ زمزم ، فواللّه لا نُخاصِمُك فيها أبدا .

ورجعَ عبدُ المطَّلب ، ورجَعُوا معه ، وأصبحت زمزمُ له وحدَه ، فترك السَّقْىَ في الحياض بمكة ، وسقَى الحجاجَ من زَمْزم .

٦

كان أَبرهةُ الأشْرمُ رجلاً من الحبشة ، قَتلَ ملكَ اليمن ، واستولَى على مُلكِه ، ورأى الناسَ يتجهَّزُون أيامَ الموسم ، للحَجِّ إلى بيت اللّه الحرام ، فسأل :

— أين يذهبُ الناس ؟

— يَحُجُّونَ بيتَ اللّهِ بمكة .

— ما هو ؟

— من حجارَة .

— لأبنينَّ لكم خيرًا منه .

فبَنى لهم بيتا عمِلَه بالرَّخام الأبيض والأحمر والأصفر وحلاّه بالذهبِ والفِضَّة ، وجعل له أبوابًا عليها صفائحُ الذَّهب ولطَّخَ جدرانَه بالمِسك ، وأمر الناسَ أن يَحُجّوه ، ولكنّ الناس لم يذهبُوا إليه . كانوا يعظّمون الكعبة ، فلم يرضَوا بها بديلا .

فتضايَق أبرهَة ، وعزم على هدمِ الكعبة ، فجهز جَيْشا ، وجعلَ أمامه فيلا عظيما ، وخرجَ من اليمن ، وسارَ إلى مكّة ، وفى طريقهِ خرج إليه العربُ يحاربُونه ، فكان يَهزِمُهم ، وينتصرُ عليهم ، واستمرَّ فى سيره حتى دخل مكة ، واستولى على

إبلٍ لعبدِ المطّلب .

واجتمع الناسُ خائفين يسألونَ عبدَ المطّلبِ ماذا يفعلُون ؟ فقال لهم : إنهم لا يستطيعونَ قِتالَ أبرهة ، فعليهم أن يهرُبُوا منه فى الجبال ، وأغضبَ الناسَ أن يَهدِمَ أبرهةُ بيتَهم المقدس ، ولكنهم كانوا أضعفَ من أن يحاربوه لينقِذُوا الكعبة ، فصعدوا فى الجبال ، وفى قلوبهم حزنٌ عميق .

وذهبَ عبدُ المطّلب ، وكان أوسمَ الناس وأجملَهم وأعظمهم ، يقابلُ أبرَهة ، فلما رآه أبرَهةُ أجلَّهُ وأعظمَهُ وأكرمَه ، وقال لتَرجُمانِه :

ـ قل له : ما حاجتُك ؟

فقال عبدُ المطّلب :

ـ حاجتى أن يَرُدَّ علىَّ الملكُ مِائتى بعيرٍ أصابَها لى :

فقال أبرهةُ فى إنكار :

– أتُكلّمُنى فى مِائتى بعير أخذتُها منك ، ولا تُكلّمُنى فى بيتٍ هو دينُك ودينُ أبائِك ، قد جئتُ لهدمِه ؟!

فقال عبدُ المطّلبِ فى اطمئنان :

– إنّى رَبُّ الإبل ، وإنّ للبيتِ ربّا سيحميه .

وخرج عبدُ المطلب ، وذهب هو وأهلُه إلى الجبال ، ينظرون ما سيفعلُه أبرهةُ بمكّة .

وأقبلَ أبرهةُ فى جيشِهِ العظيم ، والفيلُ أمامَه ، وسار إلى الكعبة ، والعربُ ينظرون من فوقِ الجبال ، وفى صدورِهم حُزْن ، وإذا بطيرٍ يُقبلُ من ناحيةِ البحرِ جماعاتٍ جماعات ، ويُلقى على جيش أبرهة حجارة ، فانتشر الْجُدَرىُّ والْحَصبةُ بين الجيش ، وراحت أعضاءُ الجنودِ تسقُطُ عُضوا عُضوا ، فلمّا رأى أبرهةُ ذلك فرّ ، ورأى العربُ خروجَ الجيشِ الغازى هاربا ، فهبَطوا من الجبال ، وانطلقُوا إلى

الكعبة ، يقدِّمُون إلى اللّه فـروضَ الشـكر . وصـدق عبدُ المطلب ، فقد كان للبيتِ ربٌّ حماهُ ومنعَه .

وفى هذا العام ، عامِ الفيل ، وُلِـد محمـد بنُ عبدِ اللّه ، بنِ عبدِ المطّلب .